

العلة في تحرّنه على نفسه اللحم واللبن وكل ما يصدر إلى الجود من منافع حيوان الخ.

حول كربلاء

١ وصف جامع الحسين

إن الذي يجلب المسلمين إلى كربلاء هو وجود قبر الحسين بنت رسول الله وأخيه العباس بن علي رضي الله عنهم وقبور أصحابه واعوانه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف أو يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م وبذلك أصبحت كربلاء مقدساً الشيعة ومزارهم فيأتي إليها كل سنة لزيارة الترتين - تربة الحسين وتربة العباس - من كل حدب وصوب زرافات زرافات وجماعات جماعات قادمين إليها من ديار قاصية وربوخ نانية كديار العجم وربوخ الهند وآسيا الوسطى حيث يكثر الشيعون ولهذا ترى كربلاء لا تخلو من غرباء يعدون بالألوف للغرض نفسه.

وما نحن نصف للقراء ما في جامع الحسين من الأبنية الضخمة والترينات الفاخرة التي هي من أفخر ما يوجد به الشيعة في تدينتهم ورحمهم لآل البيت صغين عن وصف جامع العباس لقرب المشابهة بين الجامعين إن وضعا وإن زخرفاً فنقول:

جامع الحسين من المساجد الرائقة البديعة الصنع، الفاتقة الحسن وهو من أعظم المساجد في العراق شأناً، وأتقنها هندسة وصناعة، وأبدعها حسناً وبهجة، وهو على شكل مستطيل طوله قرابة ٧٠ متراً في عرض يقارب ٥٥ متراً وللمسجد ٦ أبواب فخمة جميلة الوضع وعلى كل باب طاق مرتفع معقود بالحجر القاشاني وكل باب ينتهي بك إلى حي من أحياء المدينة، وفناء المسجد كله فضاء واسع فصح الأرجاء مفروشة أرضه بالرخام البيض الناصع وكذلك جداره فإن وجه أسفله معشى بالرخام إلى طول مترين، وما أقول ذلك مني بالقاشاني الجميل القطع والنحت، ويحيط بفناء

الصحن جدار يحصه قد أقيم عليه طبقتان وفي الطبقة السفلى قرابة ٦٥ غرفة جميلة أمام كل غرفة إيوان قوسي الشكل معقود بالحجر القاشاني.

في وسط فناء الصحن الروضة المقدسة وهي من أعجب المباني وأتقنها وأبدعها شكلاً، وفي حقلها باغاسن، وأخذت بكل بديعة بطرف يدخل إليها من عدة أبواب ليس هنا محل ذكرها وأشهر أبوابها الباب القبلي وهو من الفضة النفيسة الصياغة وفي جوانبه سهوات محكمة البناء بديعة الشكل على هيئة الجاريب مرصعة بقطع من المراني تأخذ بمجامع القلوب، أمامها صفة مفروشة أرضها بالرخام وكذلك جدارها الأدنى فإنه مؤزر به إلى مترين مرصع كله بزجاج قرصياً هندسياً يقل نظيره وسقف هذه الصفة قائم على دعائم محكمة من الساج وهذا الباب ينتهي من الداخل إلى رواق يحيط بالحرم - الروضة - من شرفها أو جنوبيها أو غربيها وعن يمينك تجد قبر حبيب بن طاهر وعليه مثبك من الشبه فتدخل باستقامة إلى باب آخر من الفضة الناصعة العجيبة الصياغة إلى مقام محكم الصنع ملون بألوان زاهية بديعة، وهو الروضة أو الحرم الذي فيه قبر الحسين وطوله ١٠ أمتار و ٤٠ سنتيمتراً وعرضه ٩ أمتار و ١٥ سنتيمتراً وفي داخله من أنواع التراويق ورائق الصنع ما يحير العقول وأكثر ذلك معشى بالذهب الوهاج فهي تتألاً نوراً وتلسع لمعان البرق، بحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها، ومما زادها بهجة وزخرفة وجود الجواهر النفيسة، وقناديل ذهب وفضة، وغير ذلك من المعلقةات الغالية الثمن على القبر الشريف التي أهداها إليه ملوك الفرس وسلاطين الهند في عصور مختلفة مما يعجز قلم البليغ عن وصفها والإحاطة بكل ما هنالك من نفائس الجواهرات ونوادير الآثار.

وفي أقصى الحرم مصطبة نفيسة تحتها رمم الإمام، والمصطبة بديعة الصنع والنقش والحفر عجيبة الصبغ والتلوين ترى من وراء مثبك من الفضة الناصعة وهو ذو أربعة

أركان وفي جانب الطول منه ٥ شبابيك وعروش كل شباك منها ٨٠ سنتيمتراً ويتفرع من وسط الجانب الشرقي منه مثبك صغير من الفضة أيضاً على صريح ابنه علي الأكبر الذي قتل معه - وهو غير علي زين العابدين الذي فقيد مع الأسرى إلى الشام - وطول مثبك الحسين ٥ أمتار ونصف المتر في عرض ٤ أمتار ونصف متر وارتفاعه ٣ أمتار ونصف متر وطول مثبك الابن متران و ٦٠ سنتيمتراً في عرض متر و ٤٠ سنتيمتراً، وفي أعلى مثبك الحسين ١٦ آنية مستطيلة الشكل كلها من الذهب الإبريز وفي كل ركن من المثبكين رمانة من الذهب يبلغ طولها قرابة نصف متر وسماء ذلك الحرم مغطاة بقطع من المرثي على شكل لا يقدر أن يصفه واصف.

وفي الزاوية الجنوبية من الحرم قبر الشهداء وهم ملحودون على صريح واحد وعلى وجه تلك الزاوية مثبك من الفضة الناصعة طوله أربعة أمتار و ٨٠ سنتيمتراً وهو عبارة عن ٤ شبابيك عرض كل واحد منهم ٧٥ سنتيمتراً وارتفاعه متر و ٧٠ سنتيمتراً، ويغطي الحرم كله قبة شاهقة مغطاة من أسفلها إلى أعلاها بالذهب الإبريز، وفي محيطها من الأسفل ١٢ شباكاً عرض كل شباك متر واحد من الداخل ومتر و ٣٠ سنتيمتراً من الخارج ويبلغ ارتفاع القبة من أسفلها أي من سطح الحرم إلى أعلاه قرابة ١٥ متراً.

وفي هذا الجامع ثلاث مآذن كبيرة يناطحن السحب بذهلمهن صعوداً في الهواء اثنان منها مطليتان بالذهب الروماج وهما حول الحرم والثالثة مبنية بالقاشاني وهي ملتصقة بالسور الخارجي من الجانب الشرقي وهناك أيضاً ساعة كبيرة مبنية على برج شاهق يراهما المرء من مكان قصي، وصفوة القول أن الكاتب مهما أوتي من البلاغة والفصاحة والإجادة في الوصف لا يمكنه أن يصف كل ما في هذا المسجد الضخم من الأبنية والأروقة والترينات وما كتبه ليس إلا ذرة من جبل أو نقطة من بحر زاخر.

٢ نخة تاريخية في بناء المسجد والقبر

يرتقي تأسيس القبر إلى أيام مقتل الحسين ومما يؤخذ من كلام جعفر بن قولويه في كتابه كامل الزيارة أن الذين دفنوا الحسين رضي الله عنه أقاموا رسماً لقبره ونصبوا له علامة وبناء لا يدرس أثره وفي سنة ٦٥هـ - ٦٨٤م قدم لزيارة رmse سليمان بن صرد الجزاعي مع الثائرين لأخذ ثارات الحسين وأصحابه، وقد ازدحموا على قبره كازدحام الناس على الحجر الأسود ولم يكن إذ ذاك ما يظلل قبره الشريف وجاء في كتاب كثر المصائب أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي قام بتشييد قبره واتخذ قرية حولهن وذكر صاحب كثر المصائب عن أبي حمزة الشمالي - المتوفى في عهد المنصور العباسي - عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ما نصه . . . فإذا آتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل . . . ثم تخرج من السيفة وقف بجذء قبور الشهداء . . . وأيد لهذا المعنى خير المجلس الطوسي في المجلد ٢٢ من البحار ٨٠ - ١٠٢ طبع إيران والسيد ابن طاووس في إقبال الأعمال صفحة ٢٨ طبع عجم وهذا ما يدل على أن له باباً شرقياً وغربياً وخلاصة القول أنه كان في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية بناء ذو شأن على قبره ومع هذا فقد كان الأمويون يقيمون على قبره المسالخ لمنع الوافدين إليه من زيارته.

ولم يزل القبر بعد سقوط بني أمية وهو بعيد عن كل انتهاك لاشتعال الدولة العباسية بعدادة شؤون الملك ولظهورها بادئ الأمر مظهر القائم بإرجاع سلطة الهاشمين وغير خفي أن القانمين بالدعوة كانوا من أهل خراسان، وأكثر هؤلاء إن لم نقل كلهم كانوا من أنصار آل هاشم، ولما رسخت قدم العباسيين في البلاد وقمعوا الثورات وجهروا بمعادة شيعة علي رضي الله عنه ولكنها كانت خفيفة الوطأة أيام المنصور والمهدي والهادي، وثقلت وطأهم عليهم أيام الرشيد فإنه تظاهر بمناهضة العلويين

فسجن كبارهم وفتك بساداتهم وأهان عظمائهم حتى أنه سجن عدد كبير من سادات آل البيت وخرب قبر الحسين وقطع السدرة وكرب موضع القبر ولعل ذلك كان لارتياحه من شيعة علي، ولما جاء دور المأمون تنفس الشيعة الصعداء واستنشقوا ريح الحرية الرطيب وكان المأمون يتظاهر بحبه لآل البيت حياً حتى أنه استعاض بلبس السواد وهو شعار العباسيين بلبس الخضرة وهو شعار العلويين وأوصى بالخلافة من بعده لعلي بن الرضا بن موسى الكاظم ولعل ذلك كيد منه لأخيه الأمين واسترضاء لمناصريه الخراسانيين، وفي زمن المأمون أعيد موضع القبر وأقيم عليه بناء شامخ.

وبقي الحال على هذا المنوال والشيعة في حالة حسنة إلى أن جاء دور المتوكل فضيق الخناق عليهم وطاردهم في الآفاق وأمر بهدم قبر الحسين وحرث أرضه وإسالة الماء إليه وأقام في المساخ أناساً يترصدون لمن يأتي لزيارته أو يهتدي إلى موضع قبره فحصل للشيعة من ذلك كرب عظيم، وقد نالت فرقة الشيعة شيئاً من الحرية على عهد المنتصر وكان هذا محباً لآل البيت ومقرباً لهم رافعاً مكانتهم معظماً قدرهم ومن حسانه إليهم أنه شيد قبر الحسين ووضع ميلاً عالياً يرشد الناس إليه، وفي خلافة المسترشد بالله ضاقت الأرض على رحبها بالشيعة لما أخذ المسترشد جميع ما اجتمع في خزانة القبر من الأموال والمجوهرات ففتق على جيوشه قاتلاً أن القبر لا يحتاج إلى خزينة إلا أنه لم يتعرض للبناء ولم يمسه بسوء من ذلك الحين أخذت كربلاء بالاتساع فاتخذت الدور وشيدت القصور وأقيمت الأسواق.

وكان البناء الذي شيد في عهد المنتصر قد سقط في ذي الحجة سنة ٢٧٣هـ - ٨٨٦م فقام إلى تجديده محمد بن زيد القائم بطبرستان في خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦م وقد زار القبر عضد الدولة بن بويه ٣٧٠هـ - ٩٨٠م بعد أن بالغ في تشييد الأبنية حول الصريح وكان عدد من جاور القبر في ذلك العهد من العلويين

٢٢٠٠ نسمة فأجزل لهم عضد الدولة من العطايا وكان ما بذل لهم مائة ألف رطل من التمر وكان آل بويه من أنصار مذهب الشيعة واستفحل التشيع على عهدهم حتى أن معز الدولة أمر سنة ٣٥٢هـ - ٩٦٣م بإقامة المآثم في عاشوراء فكان ذلك أول مآثم أقيم في بغداد وفي سنة ٤٠٨هـ - ١٠١٧م ثبت النار حول الضريح من شمعتين كبيرتين سقطتا على المفروشات فالتهمت النار القبة وتعدمتا إلى الأروقة ولم يبق من المسجد إلا السور وشيء من الحرم فرمم وهو الذي وصفه ابن بطوطة في رحلته وفي سنة ٧٦٧هـ - ١٣٦٥م شيد السلطان إدريس الأيلكاني المسجد والحرم وأتمه وأكمله ولده السلطان حسين وقد وجد تاريخ هذا البناء على الخل المعروف عند أهالي كربلاء بخل مريم فيما يلي الرأس وقد شاهده محمد بن سليمان بن زوير السليمانى وقد كان أنزل هذا التاريخ سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م وفي سنة ٩٣٢هـ - ١٥٢٥م أهدى الشاه إسماعيل الصفوي صندوقاً بديع الصنع إلى القبر الطاهر وفي سنة ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م شهد السلطان مراد الرابع القبة المنورة وجصص خارجها وفي سنة ١١٣٥هـ - ١٧٢٢م نصبت زوجة نادر شاه وكريمة حسين الصفوي إلى تعبير المسجد المطهر وأنفقت على ذلك أموالاً لا تحصى، وفي أوائل القرن التاسع عشر أهدى فتح علي شاه أحد ملوك إيران شبكة من الفضة وهي اليوم موجودة على القبر وفي ١٢١٦هـ - ١٨٠١م أمر محمد علي خان بتريين الحرم الشريف وتعبيده وبذل لذلك مبالغ وفيرة، ويوجد اليوم في أعلى أبواب الفضة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل الوجه الشريف، وحوالى هذا التاريخ أمرت زوجة فتح علي شاه بتذهيب المآذنتين، وفي سنة ١٢٧٣هـ - ١٨٦٥م غشيت قبة الحرم بالذهب على نفقة ناصر الدين شاه كما هو مكتوب على حائطها فوق الشايك بسطر من ذهب فيه بعض الآيات ولم يحدث بعد ذلك ما يهم تدوينه سوى ما جددت إنشائه في العهد

الأخير إدارة الأوقاف، هذا مجمل ما يمكن الوقوف عليه من تاريخ المسجد والقبر وربك علام الغيوب.

٣ وصف خزائن الأنسة في النجف وكربلاء

يوجد في كربلاء والنجف خزائن قديمة العهد فيها آثار ذات قيمة لا تتمن نذكر منها خزائنين للحسين والعباس رضي الله عنهما في كربلاء وخزائنين للإمام علي كرم الله وجهه وقد حوت هاتان الأخيرتان من الآثار التاريخية النفيسة ما لا يمكن وصفه لآههما بقيا بعيدتين عن أذى الوهابيين إبان حملتهم على العراق في أوائل القرن التاسع عشر، وأما خزائن الحسين والعباس فقد أتلّفها يد الضاع وذمب أكثر ما فيها أثناء الغارة الوهابية على كربلاء.

أما خزنتا الإمام علي في النجف فقد يتان منها واحدة لم تفتح ولم ترى عينها إنسان إلا مرة واحدة حينما أتى ناصر الدين شاه أواخر سنة ١٨٧٠ لزيارة قبور الأنسة في العراق، وكان ذلك بإرادة سنية استحصلها من السلطان عبد العزيز خان وقد حضر احتفال فتحها كمال باشا ناظر الأوقاف، وبناء على التماس ناصر الدين شاه من السلطان عبد العزيز أخرج منها قنديل مرصع بالحجارة الكريمة قيمته ٦٥٠٠ ليرة فعلق على المصطبة التي تحتها رمم الإمام وهذا القنديل لا يزال موجوداً إلى اليوم، وقد أهدي ناصر الدين شاه الخزانة سيفاً قيناً مرصعاً بالياقوت والجواهر وبعد أن تفقد ناصر الدين شاه ما فيها من الآثار النفيسة أقفلت وحتم على قفلها مدحت باشا والي بغداد وكمال باشا ناظر الأوقاف، وقد اختلف الناس في تخمين ما في هذه الخزانة من الجواهر فالبعض يدعي أن ما حوته من الجواهرات تناهز قيمته ٣٠ مليوناً من الجنيهات حتى قيل أن هناك درة كبيرة لا تُشْن محفوظة في ظرف من الزجاج ومن الأقوال المأثورة فيها أنها تقوم بإعمار العراق ولو خرب وهذه تعد اليوم من جملة

المعلقات الفاخرة على ضريح الإمام علي ومما يؤخذ من أقوال القيم على أموال
وخزائن الإمام وهو ما يسمى عندهم كليل داران ما في هذه الخزانة وحدها تساوي
قيمتها من ٦٠٠ ألف ليرة إلى ٧٠٠ ألف ليرة.

أما الخزانة الثانية فليست مفتوحة في كل وقت ولا يدخلها كل احد ومن نفائس ما
حوته تاج ثمين عريق في القدم كان أهدها أحد سلاطين الهند قيل أن ثمنه يساوي
١٠٠٠ جنيه عثماني وهناك سيف مرصع بالزمرد يقدر ثمنه بألفي ليرة، وفيها
سجادات ثمينة دقيقة الصنع كان يجلس عليها ملوك الفرس وكل قطعة منها تساوي
ألف جنيه، وأما ما فيها من شالات الكشمير والأنسجة التي تحار لها العقول
وتستوقف الأبصار فما لا يحصى أحد ولا يحيط به واصف مهما أوتي من البلاغة.

ويوجد اليوم على ضريح الإمام علي تحف نفيسة ومعلقات لا نظير لها منها ظرف من
الزجاج فيه تاج مرصع بالحجارة القديمة يقال أنه تاج ملك من ملوك إيران المتأخرين،
هذا عدا ما هناك من القناديل الذهبية والمعلقات بديعة الشكل، ومما يدخل في عداد
ذلك مكتبة مخطوطة حوت نفائس المخطوطات العديدة النظير منها نسخة من القرآن
الكريم بخط الحسين بن علي بن أبي طالب إلى غير ذلك من نوادر الكتب
والمخطوطات.

وأما خزانة العباس فهي أغنى الخزائن بعد خزاني الإمام علي وهي عبارة عن
مستودع أسلحة هو عبارة عن غرفتين مملوءتين أسيافا ذات غرارين قامته ذات حد
واحد، والذي يؤسف له إهمال ولاة الأمر هذه الأسلحة القديمة التي أصبحت أثرا
بعد عين، وفيها صناديق عديدة مشحونة بأنواع الشالات الثمينة وأستار من الحرير
المقصب، ومسارج شمعدانات ذهبية فاخرة، وسيف ذهبي فاخر مرصع محلي بالنقوش
الدقيقة، وإبرة كبيرة من الألماس ذات قيمة عالية، ومسرحة شمعدان فاخرة مرصعة

بالحجارة القديمة قيل أنها تساوي ألف جنيه، هذا عدا السجاد الجميل المردان بأبدع التصاوير وأغرب النقوش، منها سجادة مصنوعة من الحرير دقيقة الصنع أهداها إلى الخزان الشاه عباس وقد كتب على حاشيتها كلب أستاذة حضرة عباس أي كلب عنة حضرة العباس.

أما خزانة الإمام الحسين فلم يبق منها على ما علم شيء جدير بالذكر، وكل ما هناك ١٦ إناءً مستطيلاً كلها من الذهب الإبريز وهي الآن موجودة في أعلى مكتب الحسين وقد مر ذكرها، وسب فقر خزانة الحسين ناشئ من وقوعها بين أيدي الوهابيين وسنصف في غير هذا الموطن ما فيه الوهابيون من خزائمه الحسين من مجوهرات وغيرها.

اظنك تعجب من غنى هذه الخزائن ولكن لو علمت أن كربلاء على اتساعها وكثيرة سكانها لا يوجد فيها اليوم مدرسة ثانوية لآزداد عجبك، ولو طفت قرى كربلاء واحدة بعد أخرى لرأيت كلها - عدا النجف الأشرف التي هي اليوم مقر العربية وموطن أدبائها وفصائلها - وفي أسوأ حال بل: لرأيت الجهل متفشياً بين أبنائها، على أي أقول ما أقول لو أن أهل الحل والعقد في العراق يولفون جمعية يثق بها الناس لبيع هذه الآثار في أسواق أوروبا ويشترى بها ثياباً عقارات أو يشقون جدولاً أو يفتحون بها مصرفاً زراعياً أهلياً يساعد الفلاحين على قضاء حاجاتهم، وترويح مصالحتهم، ويشقون مدرسة عالية في النجف أو كربلاء تدرس فيها العلوم الحديثة بالعربية بشرط أن يستقدموا أساتذة من علماء مصر والشام وينفقوا عليها من ريع تلك العقارات أو من مكاسب المصرف لخدموا المجتمع العراقي خدمة تذكر فشكر وكانت الفائدة عامة، بل إن هناك ما هو أكثر فائدة وأعظم شأنًا وهو أنهم يشقون بثانها بواخر يسرونها في نهر الفرات أو يمدون سكة حديدية بين بغداد وكربلاء

فتقرب البلاد بعضها من بعض وتسر الثروة وتزداد التجارة، ومن ريعها ينفقون على المدرسة، إذ هذا الزمن زمن التفكير بالمستقبل والعمل إلى ما فيه خير المجتمع لا وقت الكسل والخمول والانعكاف على القديم، وأي خير من خزان لا تفيد الأمة في وقت الحاجة والضيق، في وقت يتسابق الأتقوام إلى الاستضاءة بنيراس الحضارة ونحن في ظلمات الجهل تانهون، وتتراكض الشعوب إلى اقتطاف ثمار الفنون البانعة ونحن عن ذلك لاهون، ولا أظن أحدا يعارض هذه الفكرة أو يحول دون إبرازها إلى الوجود سواء كان من رجال الحكومة أو من رجال الجعفرية هذا وإني أحث أدباء النجف على أن يكونوا أول القائمين بهذا الأمر لأهم قادة العراق وذوو الأمر والنهي فيه، فيثبون مقالات في هذا الشأن مظهرين ارتياحهم لذلك، وربيك الهادي إلى طريق الصواب.

4 نذرة من تاريخ كربلاء القديم والحديث

لم تكن كربلاء في العهد العبيدي قبل الفتح الإسلامي بلدة نستحق الذكر، ولم يرد ذكرها في التاريخ إلا نادراً وأكثر ذلك في عرض الكلام عما كان يقع في الحيرة وقرى الطف من الوقائع. وكانت قبل أن يفتحها المسلمون قرية حقيرة عليها مزارع وضياح لدهاقين العجم. وكان سكانها أهل حراقة وزراعة وظلت كذلك إلى أن افتتحها المسلمون في عهد عمر ابن الخطاب سنة ١٤هـ - ٦٣٥م وكان الفاتح لها ابن عرفطه بأمر سعد بن أبي وقاص قائد جيوش المسلمين في حرب القادسية، وقد كانت العرب صمدت على أن تجعلها مباءة لجيوشها ومركزاً لإدارة ما فتحوه من ديار الحيرة فاتخذوها بادئ بدء معسكراً ثم رحلوا عنها عندما أنكروا وخامة هوائها وكثرة ذبائها فزلوا الكوفة. وإلى ذباب كربلاء أشار رجل من أشجع في قصيدته:

لقد حبت كربلاء عن مطيبي ... وفي العين حتى عاد غنّاً سمينها

إذا رحلت من منزل رجعت له ... لعمرى وايتهاً إنني لأهيتها

وتعنها من ماء كل شريعة ... رفاف من الذبان رزق غيرها

ولما رحل المسلمون عنها قل شأنا وكادت تغفر رسومها ويحفي ذكرها ومازالت إلى أن عاد ذكرها ما حدث حولها ٦١١هـ - ٦٨٠م من الحوادث الخطير التي أدهشت العالم الإسلامي إلا وهي وقعة كربلاء والطف المخزنة التي قتل فيها الحسين بن علي ونفر قليل من أصحابه رضي الله عنهم لمطالبته بالخلافة وأنفة من مبايعة يزيد بن أبي سفيان لأنه يرى نفسه أحق بها منه، ومن ذلك الحين ذاع صيت هذه المدينة في الآفاق وانتشر في الأقطار، وقد جاء ذكرها في أشعار العرب ودواوينهم ومع هذا لم تكن في القرن الأول الهجري عامرة، ومع ما كان في أنفس الهاشمين وشيعتهم من مجاورة قبر الحسين لم يتمكنوا من اتخاذ الدور وتشييد بنايات خرفاً من سلطان بني أمية، وقد أخذت في التقدم في أوائل الدولة العباسية ورجعت الفهقرى أيام الرشيد وقد ازداد خرابها في أيام المتوكل لأنه هدم قبر الحسين فرحل عنها سكانها، ثم أخذ الشيعة أيام المنتصر يتوافدون إلى كربلاء أفواجاً وأفواجاً ويعبرونها ثم ضخمت في القرن الرابع للهجرة وقد زارها عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧هـ - ٩٨٠م وكانت مدينة عامرة آهلة بالسكان يقطنها آلاف النفوس وقد وصفها ابن بطوطة قال:

هي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات، والروضة المقدسة داخلها، وعليها مدرسة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والخارج وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخلها أحد إلا بإذنه فيقبل العبة الشريفة وهي الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحديد، وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد دحبل وأولاد فاتر بينهم القتال أبداً وهم جميعاً أمامية ولأجل فتهم تخربت هذه المدينة اهـ.

ولم تزل كربلاء بين صعود وهبوط ورقى والمخاطبات تارة تنحط فتخضع لدول
الطوائف وطوراً تعمر متقدمة بعض القدم إلى أن دخلت في حوزة الدولة العثمانية
سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٤م وأخذت تنفس الصعداء لما أصابها نكبات الزمان وحوادث
الدهر التي كادت تقضي عليها، وبقيت وهي مطمئنة البال مدة طويلة تزيد على ثلاثة
قرون لم ترقى في خلالها ما يكدر صفو سكانها حتى جاءت سنة ٢١٦هـ - ١٨٠١م
جهر الأمير سعود الروهابي جيشاً غمرماً مؤلفاً من ٢٠ ألف مقاتل وهجم بهم على
مدينة كربلاء وكانت على غاية من الشهرة والفخامة يتابها زوار الفرس والترک
والعرب فدخل سعود المدينة بعد أن ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتلاً شديداً،
وكان سور المدينة مركباً من أفلاق نخيل مرصوة خلف حائط من طين، وقد ارتكب
الجيش فيها من الفظائع ما لا يوصف حتى قيل أنه قتل في ليلة واحدة ٢٠ ألف نسمة
وبعد أن تم الأمير سعود مهمة الحربية التفت نحو خزانة والقبور وكانت مثحونة
بالأموال الوفيرة وكل شيء نفيس فأخذ كل ما وجد فيها. وقيل أنه فتح كزراً كان
فيه أموال جمّة جمعت من الزوار، وكان من جملة ما أخذ لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفاً
محملة جميعها بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة، وأوان ذهبية وفضية وفيروز وألماس
وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر، وقيل أن من جملة ما فبه سعود أثاثات
الروضة وفرشها منها ٤٠٠٠ شال كشيري و٢٠٠٠ سيف من الفضة وكثير من
البنادق والأسلحة وقد صارت كربلاء بعد هذه الواقعة في حال يرثى لها.

وقد عاد إليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعد خرابها وأعاد إليها العمران
رويداً رويداً وقد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فأشفق على
حالتها وبني فيها أسواقاً حسناء وبيوتاً قوراء أسكنها بعض من نكبوا، وبني للبلدة
سوراً حصيناً لصد هجمات الأعداء وأقام حوله الأبراج والمعازل ونصب له آلات

الدفاع على الطرز القديم وصارت على ما يهاجمها أمتع من عقاب الجوفامنت على نفسها وعاد إليها بعض الرقي والتقدم.

وفي سنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م وقعت واقعة عظيمة تعرف بوقعة المناخور - أمير الأخور أي أمير الاصطل، وذلك أن الدولة العثمانية كانت في ذلك الزمن ضعيفة لاحتلال الجيش الإنكشاري واستقلال البلاد القاصية واستغالها بمحاربة العصاة في البلقان وطسوح محمد علي ووالي مصر إلى الاستقلال واستقلال علي باشا لنلي تبه في ألبانيا، وكان والياً على العراق إذ ذلك داود باشا وكان نقياً عادلاً ورعاً مشهوراً بالدهاء وفرط الذكاء إلا أنه كان شديد الحرص على الانسلاخ من جسم الدولة والاستقلال بالعراق أسوة بمن تقدمه. فعلى بادئ بدء إلى جلب قلوب الأهالي بما أنشأه من العمارات والبنيات والجوامع والتكايا. وقرب علماء العراق وبالغ في إكرامهم ونظم جيشاً كبيراً وأسلحة على الطراز الجديد حينئذ، فقاوم بعد ذلك يدعو الناس إلى بيعته، ولكثرة ما كان لديه من الأعدان بايعه أكثر مدن عراق العرب إلا كربلاء والحلة فرفعا راية العصيان وعند ذلك سير جيشاً ضخماً بقيادة أمير اصطبله وكانت عشيرة عقيل تعضده فأخضع القائد الحلة واستباح جامها ثم جاء كربلاء فحاصرها ثمانية عشر شهراً ولم يقو على افتتاحها لحصانة سورها ومناعة معقلها. ولما رأى ذلك أقبل عنها ثم كر عليها ثانياً وثالثاً فلم يفر بأمنته إلا بعد حصار طالته مدته أربع سنوات من سنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م إلى سنة ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م وكانت نتيجتها أن أسر الجيش نقيب كربلاء فسجنه داود باشا في بغداد.

وفي سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م شن أهالي كربلاء عصا الطاعة على الدولة وأبوا أداء الضرائب والمكوس وكان ووالي العراق نجيب باشا فجهز جيشاً بقيادة سعد الله باشا وسيره إلى كربلاء فحاصرها حصاراً شديداً وأمطر المدينة بوابل قنابله ولم يساعده

الخط على افتتاحها لأن سورها كان منيعاً جداً وقلاعها محكمة لا يمكن للقائد الدنو منها، ولما أعييت به الحيل الحربية التجأ إلى الخداع فأعطى الأمان للعصاة وضمن لهم عفو الحكومة فأخلوا القلاع وجاؤد طائعين فقبض عليهم وسلط المدافع على جهة السور الشرقية فهدمها وأصلى المدينة ناراً حامية، ففتحها وارتكب فيها فظاعة وشناعة، ودخل بجيشه إلى صحن العباس وقتل كل من لاذ بالقبر وهذه الموبقات أعاد سلطة الحكومة إلى تلك الربوع.

وفي سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٤٢م ظهرت فتنة بكربلاء تعرف بفتنة (علي هدلة) وذلك أن جماعة من المفسدين حرصت من الأهالي على مناوأة الحكومة وكانت أفكار الأهالي مسعدة لقبولها فألفت عصاة بقيادة علي هدلة وقابلت الجيش العثماني ودحرته في مواقع متعددة. ولما رن صدى هذه الحادثة في الآستانة قلقل السلطان المخلوع وأصدر إرادة سنية بإرسال الجيوش إلى كربلاء ومهددها وقتل من فيها عن بكرة أبيهم. وناط تنفيذ الإرادة بعاكف باشا والي بغداد والمشير حسين فوزي باشا وكان هذا القائد عاماً للجيش فجاء الاثنان كربلاء يصحهما نقيب بغداد السابقين وضربوا المضارب قرب المدينة، فلم ير الرائي في المدينة آثار العصيان والتمرد. وقد علم بعد البحث الطويل أن العصاة عصاة ارتكبت إثماً واقترفت ذنباً يطاردها الجيش وليس من العدل هدم المدينة وتنفيذ الإرادة السنية على سكانها وأخذ البريء مجريرة المذنب فأحجم عن تنفيذ ذلك وفتح القائد العام فآبى هذا إلا الإصرار على تنفيذ الأوامر فحجم من ذلك خلاف بينهما فرجعا إلى الآستانة وخاطباها بالأمر وبعد أخذ ورد صدر الأمر بالعفو، فرحل الجيش عنها بعد أن قبض على مشري الفتنة وموقدي نيرانها قادمهم إلى بغداد ومن هناك ألقاهم في أعماق السجون.